على عرفات اللّه



بقلم الشاعر: محمد عبده

على عرفات الله ذكرى ومـــــــوعدُ

حنينٌ به تهفو القلـــــــــــوب و تسعدُ

وفودٌ أتت من كل فجٍّ ومنـــــــــــزل

تغذُّ مطايا السير للقُرب تنشـــــــــــدُ

جموعٌ أتت من كل صوْبٍ وبقعـــــــةٍ

و"لبَّيك" تشدو بينهم وتُغـــــرِّدُ

أتَوا لأداء الفرض شوقا ولهفـــــــــة

ورضوان رب العرش تبغي وتقصد

وقد ودَّعوا الدنيـــــــا هناك وراؤهم

وجاؤوا لتلبية النـــــــــــداء تجرَّدوا

فلبيك يا ربَّ العبـــــــــــــاد جمعتنا

لك الحمد ربّي ليس غيرك يُعبـــــــــد

بوادٍ يشع النـــــــــــــور في جنباته

بـ"لبيك" تعلو والجبـــــــال تُردِّد

وقوفا به جمع الحجيج ملبيـــــــــــا

بدمع الضراعة ربها تستنـــــــــــجد

وقوفا إلهي عند بابك خُشَّعـــــــــــا

يريدون عفوا ليس غيرُك يقصـــــــد

أتوْا كل نفس كم لها من حاجـــــــةٍ

أكُفٌّ بها رُفِعت و دمـــــــــــــعٌ يُمهِّد

طوافٌ و سعيٌ والشعائـــــــر كم لها

بفيض المشـــــــــــاعر بهجةٌ تتجدد

وهاجر تسعى في يقيـــــــــن تهرول

وزمزم فاضت من عيون وتنـــجد

وركنٌ تزاحمـــــــــت الخلائق حوله

عسى أن تُقَبِّلَ أو تشيـــــــــــرَ له يدُ

هو الحجُّ تسليم المحبة والرضـــــا

فكلٌّ يلبّي ضـــــــــــــارعا و يُوحِّد

وحجٌّ يعود المـــــــــــــرء منه كأنه

بثوبٍ نقيٍّ من جديـــــــــــــدٍ سيولد

وفود هنا جاءت تمثل أمَّـــــــــــــةً

وروح الأخُـــــــــــــوة بينها تتجسد

تساوَوْا فلا جنس تميَّز بينهـــــــــم

ولا اللون يفصل بينهم أو يبعـــــــد

وعربٌ وعجمٌ لا تفاضل بينهـــــــم

ســـــوى من تحلَّوْا بالتقى وتزوَّدوا

وفودٌ بها شـــــوقٌ إلى "لتعارفوا"

شعوباً قبائل بالإخـــــــــــــاء تعاهدوا

***

ويا ذكريات الحجّ في عهد الصفـــــا

قرونا بها مجدٌ وفيها الســـــــــــؤدد

قرونا مضت بالعـــــــــز في زمنٍ به

أمور البلاد تواصل وتســـــــــــاند

بوادٍ به تلك الوفـــــــــــــود تجمعت

وراعٍ لها يرعي العهـــــــــــود مؤيَّد

براعٍ على رأس الحجيـــــــج يؤُمُّهم

ويرعى شئون الناس فيهم و يرصد

وفودٌ تلاقت في منى وتشـــــــاورت

وكلٌّ يمثل حال قومٍ ويســـــــــــــرد

وفود أتت كل يمثل قومـــــــــــــــــه

فعنهم يبيِّن حالهـــــــــــــــم ويؤكد

وفي الحج ركنٌ للإمـــــــام يرى بها

لتلك الحوائج يستشيـــــــــــر ويعهد

بوادي منَى كل الوفـــــــــــود ستلتقي

وكل المجالس للتواصـــــــــــل تُعقد

وهذا الخليفة كل عام حجـــــــــــة

وعامٌ به غزوٌ وفيه يُجاهـــــــــــد

وسيفٌ يُقيـــــــمُ العدل أبيض ناصعا

وسيفُ الحراسة قائم لا يُغمـــــــــــد

***

وفي حجةٍ فيها الوداع وصيـــــــــــةٌ

وفيها رسول الله يُوصِي ويُشهـــــــد

ففيكم تركت كتـــــــــاب ربِّي وسنة

ومن يعتصم بهما بصـــــــــدقٍ يهتدوا

وللمسلمين الصادقين أخـــــــــوَّةٌ

بطول المدى فتمسّكوا وتوَّحـــــدوا

وللنساء على الخصوص وصيـــــــةٌ

بخير يؤكدها الرســـــــــــــول محمد

***

وقال الحجيـــــــــــج فأين غزةُ لا يُرى

من الأهل من غزة القلب وافـــــــــــد

فإن تكُ غابت عن حضور فإنمـــــــــا

بثغر الكرامة هم حضـــــورٌ وسَدَّدُوا

فإن كانت الأيـــــــــــــــام فينا تبدلت

وصار الدنِيّ على العلا يستأســـــــــد

وصارت ديار المسلمين مباحـــــــــةً

لذاك الغريب أتى يَجُول ويُفســـــــــد

وصارت عروش الحاكمين كأنهـــــا

طواغيت تمرح في البلاد تعربـــــــــد

وصارت شعوب المسلمين كأنهـــــم

كأســـــــرى لدى تلك العروش تكابد

وتاهت بأودية الضـــــــــــــلال عوالم

من الشرق والغرب الطغاة تعانـــــد

وظن البعض ســـــــــوءا بأن لواءنا

عن العز والمجـــــــــــد القديم سيبعد

فخابت ظنون الحاقدين فعندنـــــــــــا

من النـــــــــــور ما يمحو الظلام يبدد

فما زال فينا الخيـــــــــــر يا خير أمة

وما زال فينا السنة والكتاب الخالد

وما زال فينا القابضون بقـــــــــــوة

على الجمر مهما في الســـحاب تلبُّد

وما زال فينا النبض أن جهـــــــــــادنا

سبيلٌ به تعلو البلاد وتسعـــــــــــــد

وعند الوداع الدمع سال بمكـــــــــــة

وٍعَوْداً دعاءٌ للصـــــدور يبرِّدُ

***

تقبل إلهي من ضيـــــــــــوفك قد أتَوْا

ويرجون فضلك أنت أنت الواحـــــد

إذا زرت بعد البيت طيبـــــــــــة عازما

تشد الرحال إلى الرحاب وتقصـــــــد

وشوق تهيم به القلـــــوب فسارعوا

هنا القبة الخضراء هذا المســـــــــجد

فبلغ إمام المرسلين تحيـــــــــــــــــة

هو المصطفى الهادي الأمين محمـــد

وإن نتبع نهج الحبيب وهديـــــــــه

سنلقى فلاحا في الأمور ونســـــــعد

ويارب فاقبل للحجيج دعـــــــــاءهم

وقوفا ببابكْ .. ليس غيرك يُقصـــــد

ويا رب هيِّء للصلاح سبيلَنـــــــــا

وبالهدْيِ نرقى للفلاح ونرشـــــــــد